مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (01)، (جوان -2022)، ص 257-274
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

صدمة الاعتداءات الإرهابية خلال العشرية السوداء في الجزائر والنسق القيمي لدى الضحايا اليوم

The Trauma of terrorist agressions during the black decade in Algeria and the value system in the victims today

سهام الكاهنة شرابن[1]*، حنيفة صالحي بن شريف[2]
[1] جامعة عباس لغرور، خنشلة (الجزائر)، kahin.chr@gmail.com
[2] جامعة الحاج لخضر، باتنة 1(الجزائر)، hanifa.salhi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/03 **تاريخ القبول:2022/12/16**

مخلص:

تناولت الدراسة الحالية موضوع الصدمة النفسية لدى ضحايا العنف الإرهابي في الجزائر، وتمحورت أهدافها الرئيسية حول الكشف عن وجود أعراض الضغوط التالية للصدمة اليوم عقب التعرض كضحية أولية و/أو ثانوية لاعتداءات إرهابية خلال فترة العشرية السوداء (1992 و2002) في الجزائر، ثم التعرف على النسق القيمي السائد عند كل ضحية. وقد اشتملت عينة الدراسة على ثلاث حالات (03) "**ضحايا**" تلك الاعتداءات بعد أكثر من 15 سنة، كما تم الاعتماد على المنهج العيادي تبعا للمقابلات نصف الموجهة، مقياس دافيدسون واختبار القيم. ومن بين النتائج المتوصل اليها: تظهر أعراض الضغوط التالية للصدمة لدى حالات الدراسة الثلاثة كضحايا لاعتداءات إرهابية خلال العشرية السوداء في الجزائر. كما انه تترتب أولوية القيم الأساسية في النسق القيمي الحالي لحالات الدراسة وفق عوامل شخصية نوعية تشترك في خبرات العنف الإرهابي التي تعرضت لها الضحايا؛ حيث سجلت القيمة الدينية بين القيم الثلاثة الأولى مقابل القيمة السياسية التي ترتبت من بين القيم الأخيرة.

الكلمات المفتاحية: اعتداءات إرهابية؛ ضغوط تالية للصدمة؛ ضحية؛ نسق قيمي؛ عشرية سوداء.

Abstract:

The current study treated the subject of psychological trauma among victims of terrorist violence in Algeria, its main objectives were detecting symptoms of post-traumatic stress today following the exposure as primary and/ or secondary victim to terrorist aggressions during the black decade (1992 & 2002) in Algeria, then identifying the dominant value system in each victim. The sample of the study included three cases (03) «victims» of theses aggressions after more than 15 years. The clinical method was adopted following the semi-directive interviews, the Davidson scale and the values scale. The results are summarized as follows: Symptoms of Post-traumatic Stress currently appear in the three cases of the study victims of terrorist aggressions during the black decade in Algeria. The priority of fundamental values into the current value system of the cases of the study is ordered according specific personal factors, which have in common experiences of terrorist violence; the religious value was listed among the first three values, while the political value was classified among the bottom three.

Key Words: Terrorist Aggressions, Post-Traumatic Stress, Victim, Value System, Black Decade.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة إشكالية:

تعد الجزائر من الدول التي عاشت وعانت من أبشع مظاهر العنف الخطيرة المتفاقمة على مر السنين؛ إذ لا تزال آثارها السلبية الراسخة في تاريخ البلاد تتخذ سبيلها نحو حاضرها، فلا يختلف اثنان في القول بأن "العنف الإرهابي" الذي أخذ من عمر المجتمع الجزائري عشرية كاملة هو بمثابة تيار صدمي لم يعرف له مثيلا. وما يسمى بـ"حرب العشرية السوداء في الجزائر" انطلقت في شكل صراع مسلح محتدم بين النظام الجزائري القائم وفصائل متعددة تبنت أفكارا موالية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ومبدأ الإسلام السياسي بتعصب وذلك منذ عام 1992 إلى غاية عام 2002 (الشيباني، 2006، صفحة 150)، حيث وجد أفراد المجتمع الجزائري أنفسهم مقيدين في سلسة من الاعتداءات المنافية في طبيعتها وأهداف مرتكبيها لكل ما يحمل طابع الإنسانية. وتجدر الإشارة إلى أن سنة 1997 وصفت من طرف الهيئات الوطنية والدولية على أنها أفظع السنوات؛ حيث توسع نطاق الاعتداءات الإرهابية وتعددت المجازر الجماعية خاصة ضد سكان الأرياف الذين سحبوا مساعداتهم للجماعات الإرهابية المسلحة، فوظفت هذه الجماعات أكثر الأساليب وحشية لزرع الرعب والعجز في نفوس المواطنين. (بن عروس وآخرون، 2002، صفحة197)

ويعرف "**الإرهاب**" حسب المتخصصين في مجال القانون على أنه كل جناية أو جنحة تظهر في الاستعمال العمدي للوسائل القادرة على إحداث حالة من الخطر العام، تتعرض له الحياة أو السلامة الجسدية أو الصحة أو الأموال العامة (الترتوري وجويحان، 2006: 32). ويمكن التوضيح أكثر باعتبار الأعمال الإرهابية عنف وتهديد يعرض الأفراد للخطر، تنفذها عصابات تعمل على إثارة فتنة طائفية أو حرب أهلية حتى وإن زهقت الأرواح بالمئات وحتى الآلاف، وقد حدث فعلا: تخريب للممتلكات وانتهاك للحرمات واختطافات ومجازر أخذت صفة جماعية ملحوظة. (لخذاري، 2009، صفحة 24)

لذلك صنفت الاعتداءات الإرهابية ضمن فئة الصدمات النفسية الجماعية (Traumatismes Collectifs) التي تسبب لدى عدد معتبر من الأفراد في مجتمع معين حالة من الذعر الجماعي الشامل (Panique Collective) وهؤلاء الأفراد يتحولون إلى ضحايا متضررين جسديا، ذهنيا، وجدانيا، اجتماعيا واقتصاديا... وما إلى ذلك. من هذا المنطلق يشرح Crocq "الذعر الجماعي" على أنه خوف شديد ينتج عن وجود خطر واقعي أو خيالي، ويشعر به جميع أفراد الجماعة أو المجتمع حيث يعبرون عنه بسلوكات جماعية مثل: الدهشة العارمة، الهروب العشوائي، الهيجان أو العدوان وصولا حتى إلى الانتحار أحيانا. (Crocq, 1986: 192)

وبالرغم من أن حدة العنف الإرهابي في الجزائر قد خفت منذ عام 2002 بعد ما سعت السلطات الرسمية إلى تنفيذ "ميثاق السلم والمصالحة الوطنية" كمبادرة إنسانية تستند إلى قيمة التسامح والعفو عن المعتدي دون النظر إلى جرائمه السابقة؛ فيحث هذا الميثاق ضحايا الإرهاب

على نسيان مخلفات تلك الصدمات العميقة المعاشة، لكن الضحايا لازالوا موجودين سواء بصفة محسوسة كالجرحى والنساء المغتصبات والأرامل واليتامى أو بصفة معنوية كالقتلى والمفقودين، وينتظرون استرجاعا لحقوقهم المنتهكة مدركين لتلك الحاجة في أنفسهم أو غير مدركين. إذ دعت منظمة الأمم المتحدة في مؤتمر حول "حقوق الإنسان لضحايا الإرهاب" إلى ضرورة دعم حق ضحايا الإرهاب في رد الاعتبار؛ فبالنسبة لهم أن يكونوا جزء من إجراءات العدالة الجنائية هو أحد أشكال التعافي. (مركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، 2016)

ويهتم علم النفس العيادي بالمخلفات النفسية الظاهرة والكامنة لمثل هذه الصدمات؛ فنجد من الضحايا الذين يظل الحاضر لديهم مرتبطا بذلك الماضي المؤلم بل محدودا ومقيدا به يتراجعون في توظيف مهاراتهم النفس-اجتماعية، ويطورون اضطرابات نفسية تالية لصدمة الاعتداءات تعيقهم عن التكيف مع الواقع الحالي. فيؤكد Crocq على ضرورة الاعتراف بالتبعات النفسية وإصلاحها شأنها شأن التبعات الجسدية (Kacha, 2000: 314)، وفي المقابل نجد من الضحايا من يتميزون باستعداد نفسي تكيفي يعينهم على تجاوز الصدمة (الجَلَد) وإرصادها في سجل خبراتهم السابقة دون أن تسبب خللا وظيفيا عميقا في الشخصية.

وإذا تمعنا في تلك الأحداث الصدمية من بُعد مختلف فلابد لنا ألا نهمل الوضع الحرج الذي تكون فيه الضحية حين تقابل يوميا معتديها العائد حرًا، ففي منطقة واحدة قد تتجاور أسرتي الضحية والمعتدي مما قد يسبب للأولى خاصة اضطرابات نفسية تحد من تفاعلاتها وتطبع علاقاتها الاجتماعية. ومن ثم فإن العنف الإرهابي يتجاوز في تأثيره السلبي الضحية وحدها ليمس بالنسق العام الذي تنشط في إطاره، سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو حتى أخلاقيا (النسق القيمي)؛ باعتباره جملة من القيم تتمثل في اعتقادات يستعين بها الفرد في اختيار التوجه الأنسب للسلوك والتي تنتظم في شكل متدرج حيث يقوم الفرد بترتيبها طبقا لأهميتها بالنسبة له ونتيجة للتفاعلات المستمرة بينه وبين نسقه الاجتماعي. (شينار، 2017، صفحة 129)

فيتساءل الدارس/ الباحث/ القارئ ضمن هذا السياق حول ما يلي:

* هل يعاني الفرد ضحية العنف الإرهابي خلال العشرية السوداء في الجزائر من اضطراب الضغوط التالية للصدمة بعد أكثر من 15 سنة؟

* فيم يتمثل النسق القيمي للفرد ضحية العنف الإرهابي خلال العشرية السوداء في الجزائر بعد أكثر من 15 سنة؟

2- متغيرات الدراسة:

2-1- العنف والإرهاب في الجزائر:

عانى أفراد المجتمع الجزائري من الإبادة ومختلف أشكال التعذيب والترهيب إثر الاحتلال الفرنسي الذي استمر لأكثر من 120 سنة؛ كما تعرض للعنف السياسي القائم على القمع وحرمان

المواطنين من حرياتهم وحقوقهم الإنسانية، حتى أن شهادة واقعية ينقلها أحد الناجين أو المساهمين في المجازر الدامية قد تكون أبلغ من أي وصف أدبي: "... فكنتَ ترى هنا عسكريا يقطع ساخرا ثدي امرأة مسكينة وهي تترجاه أن يرحمها بقتلها، ثم تلفظ أنفاسها بعد لحظات وهي تتضور ألماً، وترى هناك جنديا آخر يمسك طفلا صغيرا من رجليه ويضرب رأسه على جدار فيتناثر المخ منه..." (عشوي وخياطي، 2012، صفحة 33)

وبعد الاستقلال بثلاثين (30) سنة تعرض المواطنون الجزائريون لأنماط "العنف الإرهابي" الذي لم يكن احتلالا أجنبيا وإنما عدوانا مارسه نظراؤهم من المواطنين. ومن بين "الجرائم الموصوفة بأفعال إرهابية أو تخريبية" التي حددها المشرع الجزائري في قانون العقوبات نجد:

* كل فعل يستهدف أمن الدولة والوحدة الوطنية والسلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيرها العادي عن طريق أي عمل غرضه ما يأتي:

بث الرعب في أوساط السكان وخلق جو انعدام الأمن من خلال الاعتداء المعنوي أو الجسدي على الأشخاص أو تعريض حياتهم وحرياتهم أو أمنهم للخطر أو المس بممتلكاتهم.

عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطريق أو التجمهر أو الاعتصام في الساحات العمومية.

الاعتداء على رموز الأمة الجمهورية ونبش أو تدنيس القبور.

الاعتداء على وسائل المواصلات والنقل والملكيات العمومية والخاصة والاستحواذ عليها أو احتلالها دون مسوغ قانوني.

الاعتداء على السلطات العمومية أو حرية ممارسة العبادة والحريات العامة والمساعدة للمرفق العام.

الاعتداء على المحيط أو إدخال مادة أو تسريبها في الجو أو في باطن الأرض أو إلقائها عليها أو في المياه، بم فيها المياه الإقليمية من شأنها جعل صحة الإنسان أو الحيوان أو البيئة الطبيعية في خطر.

عرقلة سير المؤسسات أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتهم أو عرقلة تطبيق القوانين والتنظيمات. (لخذاري، 2009، الصفحات 23-24)

2-2- مفهوم الضحية:

أورد Crocq تعريفا لـ"**الضحية**" باعتبارها كل شخص، نتيجة فعل (عمدي أو لا) لشخص آخر أو مجموعة أشخاص، أو نتيجة حدث غير مسبَب من طرف شخص (كارثة طبيعية أو حادث دون فاعل محدد)، قد تعرض لإصابة في وحدته الجسدية أو الذهنية أو في حقوقه الأساسية أو خسارة مادية أو أي ضرر آخر (مدرسي، مهني، أخلاقي... إلخ). (Crocq, 2007, 10)

وتصنف "**الضحية**" حسب معاناتها خلال الحدث الصدمي إلى ثلاث (03) فئات كالآتي:

1* الضحية المباشرة (الأولية/Primaire): تكون في مواجهة مباشرة مع خطر الموت والتهديد الواقعي أو الخيالي الذي يحمله الحدث الصدمي، وقد تكون المتعرِض أو الشاهد (الذي رأى و/أو سمع) أو حتى الفاعل (المعتدي) الذي تسبب عمداً أو دون عمد في إلحاق الضرر بغيره.

2* الضحية غير المباشرة (الثانوية/Secondaire): وتشمل كل فرد من النسق الأسري للضحية الأولية سواء كانت الأسرة، الأصدقاء، الجيران، زملاء العمل أو الدراسة... إلخ؛ حيث لم يتعرض فعليا للحدث الصدمي إلا من خلال تفاعله مع الضحية المباشرة ومشاركته الوجدانية لمعاناتها. وقد تعاني الضحية الثانوية هي الأخرى من اضطرابات تالية للصدمة أو مخلفات الحدث الصدمي، كما يشير المصطلح الأكثر استخداما لوصفها في النظام القضائي: "Victime par ricochet".

3* الضحية المحتملة (الثالثية/Tertiaire): يقصد بها الأفراد الذين يحتمل تأثرهم بدرجات متفاوتة بحدث صدمي تعرض له فرد أو جماعة غيرهم (ضحايا أولية)؛ وبالتالي فإن هذه الفئة تشمل مجتمعا محليا أو دوليا وتقترب في صفتها من الضحية الأولية كلما اشتركت معها في خصائص مثل: السن، الجنس، الانتماء العرقي و/أو الديني، المجال الجغرافي، الطابع المهني... إلخ.

2-3- الصدمة النفسية:

ترتبط الصدمة النفسية بما يسمى "**الحدث الصدمي**" الذي يشير إلى كل حدث يحمل رمزية الموت ويدركه الفرد كتهديد لحياته أو وحدته الجسدية أو النفسية، وبالتالي فهو يعيشه بمشاعر الرعب والعجز. (Kédia et Seguin, 2008, 22)

وتصنف الأحداث الصدمية أساسا إلى **جماعية** مثل الحروب، احتجاز الرهائن، الكوارث الطبيعية... إلخ، و**فردية** كالاعتداء الجنسي أو اللفظي، الاختطاف، حوادث العمل، العمليات الجراحية... وأخرى. وتشمل الاستجابات المتعلقة بالحدث الصدمي نمطين رئيسيين هما:

أولا: الاستجابات الفورية: باعتبارها ردود الفعل الأولية المباشرة عند التعرض لحدث صدمي وتصنف بدورها إلى "**استجابات متكيفة**" بما تتضمنه من آليات بيوفيزيولجية عصبية تسمح للفرد مواجهة الموقف الضاغط بأساليب تكيفية سواء من الناحية الجسدية أو المعرفية أو الانفعالية. ونجد كصنف ثانٍ "**الاستجابات الفورية غير المتكيفة**" خاصة لدى ضحايا العنف الممتدة فترته أو المتكررة خلال مدة قصيرة، وتتجلى أبرز مظاهرها في الدهشة والهيجان والهروب الاندفاعي والسلوك الآلي.

ثانيا: الاستجابات ما بعد الفورية: تظهر بعد حوالي 24 ساعة من الاستجابات الفورية وتستمر لمدة تتراوح ما بين أيام إلى شهر واحد عادة؛ حيث تعتبر مرحلة انتقالية مهمة إما إلى استعادة الفرد لتوازنه الفيزيولوجي والنفسي بالتحسن التدريجي بعد انقضاء الحدث الصدمي، أو إلى فترة كمون لاضطرابات محتملة تالية للصدمة إذا ظل الفرد عالقا انفعاليا وذهنيا في دوامة الحدث الصدمي.

2-4- النسق القيمي:

يمكن تعريف "**القيمة**" (Valeur) حسب Rokeach باعتبارها اعتقادا ثابتا ضمنيا أو صريحا أن نموذجا معينا من السلوك أو غاية ما من الوجود لها الأفضلية من الناحية الشخصية أو الاجتماعية مقابل نموذج آخر أو غاية أخرى. (شينار، ، صفحة 98)

وتعتبر قيم الأفراد متصلة ومنسجمة مع العناصر الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية، وهي مزيج من دافعين أولهما غريزي والآخر مكتسب من خلال التفاعلات بين الفرد وأسرته وبيئته الاجتماعية عموما. أما "**النسق القيمي**" فهو ذلك التنظيم الشامل للقيم والمبادئ والمعايير الأخلاقية التي يتمسك بها الفرد ويوظفها في سلوكاته، وفق ترتيب يبرز أولوية بعضها عن الأخرى، قد يصرح عنها أو يكتمها تبعا لعوامل نفسية و/أو اجتماعية مختلفة. ويشتمل النسق القيمي لدى الفرد غالبا على ست (06) فئات أساسية من القيم، صنفها F.Spranger كما يلي:

* **قيم نظرية (علمية):** يتسم الأفراد الذين تسود عندهم هذه القيم بنظرة موضوعية نقدية معرفية تنظيمية. (معمرية، 2007، صفحة45)
* **قيم اقتصادية (استقلالية):** ويتسم أصحاب هذه القيم بتصور عملي تخطيطي بهدف الإنتاج والاستثمار وتحقيق الرخاء المادي. (شينار، 2017، صفحة 85)
* **قيم اجتماعية (إنسانية):** وتشمل محبة واهتمام الفرد بالآخرين وسعيه إلى إسعادهم دائما.
* **قيم دينية (روحية):** ويتسم الأشخاص الذين تسود لديهم هذه القيم بتبني تعاليم الدين وإتباعها في جميع مجالات الحياة. (معمرية، 2007، صفحة 46)
* **قيم سياسية (تسلطية):** ترتبط بسمات كالقيادية والقدرة على التحكم والسيطرة سواء في المجال السياسي أو الإداري أو الاقتصادي أو العسكري وغيرها.
* **قيم جمالية (فنية):** يتسم الأشخاص الذين تسود لديهم هذه القيم بنظرة تقديرية للعالم، الميل إلى الفن وتذوق الجمال والإبداع. (شينار، صفحة 86)

3 - الدراسة الميدانية:

3-1- منهج الدراسة:

تم اختيار "المنهج العيادي" الذي يسمح بالدراسة الموضوعية العميقة للحالات الفردية بغض النظر عن معيار السواء أو المرض؛ وبما أن الدراسة الحالية تهدف إلى الكشف عن وجود أعراض التبعات النفسية التالية للصدمة لدى ضحايا العنف الإرهابي في الجزائر خلال العشرية السوداء في الوقت الحالي إضافة إلى معرفة النسق القيمي الفردي، بدا المناسب لتحقيق هذه الأهداف إتباع الأساسيات الميدانية للمنهج العيادي.

2-3- حالات الدراسة:

تكونت من ثلاث (03) حالات ضحايا أولية وثانوية للاعتداءات الإرهابية خلال العشرية السوداء في الجزائر، يوضحها الجدول التوصيفي الآتي:

الحالة	الجنس	السن	المستوى التعليمي	الحالة المدنية
(م)	أنثى	34 سنة	جامعي (ماستر)	عازبة
(س)	ذكر	34 سنة	أساسي	عازب
(و)	أنثى	54 سنة	جامعي (ماستر)	أرملة

2-3- أدوات الدراسة:

*** المقابلة نصف الموجهة:**

تعتبر المقابلة الأداة المفتاحية في جمع البيانات والمعلومات عن الحالات الفردية وقد خُصصت بطاقة توجيهية تتضمن المحاور الأساسية وأسئلتها المبدئية بهدف إجراء المقابلات ثم تحليل النتائج وفق إطار منهجي موحد.

المحاور	الأسئلة المعتمدة
المحور الأول: صدمة العنف الإرهابي	1/ حدثني عن الاعتداء الإرهابي الذي تعرضت له خلال سنوات العشرية السوداء؟ 2/ ما هي الحيثيات التي لازالت تؤثر فيك الآن؟ 3/ كيف تصف حالتك النفسية اليوم؟
المحور الثاني: نسق القيم السائد	1/ ما هي القيم الأولية التي توجه حياتك؟ كيف اكتسبتها؟ 2/ لماذا هذه القيم؟ ولماذا ترتبها حسب هذه الأولوية؟ 3/ ما رأيك بقيم مثل: التسامح، الانتقام، المصلحة الفردية، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر؟
المحور الثالث: مخلفات صدمة العنف الإرهابي على نسق القيم اليوم	1/ ما هي الأسس الأخلاقية التي كانت توجه سلوكاتك قبل أحداث العشرية السوداء؟ 2/ لماذا تغيرت أو لم تتغير اليوم؟ 3/ كيف توظف القيم السابقة (س3/ المحور الثاني) تجاه القائمين بأعمال العنف الإرهابي؟

*** مقياس كرب ما بعد الصدمة:**

صممه Davidson (1987) ثم قام بترجمته وتقنينه "عبد العزيز ثابت" (2005) ويتكون من 17 بندا تقيس أعراض اضطرابات الضغوط التالية للصدمة طبقا لمعايير الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية وتوزعت بنود المقاس على ثلاث (03) محاور فرعية هي

1) استعادة الخبرة الصادمة تشمل البنود 1-2-3-4-17 .
2) تجنب الخبرة الصادمة يشمل البنود 5-6-7-8-9-10-11 .
3) الاستثارة تشمل البنود 12-13-14-15-16 . (البجاري والجميلي، 2018، صفحة 23)

ويتم تشخيص الكرب ما بعد الصدمة بوجود عرض واحد على الأقل في كل من أعراض استعادة الخبرة الصادمة والاستثارة مع اثنين على الأقل من أعراض التجنب.

*** اختبار القيم:**

يعتبر من أشهر الاستبيانات لقياس القيم صممه ثم عدله كل من G.Alport وP.Vernon وG.Lindzey (1965) على أساس الأنماط الستة (06) للقيم وهي: القيمة النظرية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية، السياسية والجمالية، ويتضمن 45 بندا موزعة على قسمين.

4- عرض وتحليل حالات الدراسة:

قبل التطرق إلى ملخص ثم تحليل كل حالة، لابد من عرض نتائج مقياس دافيدسون واختبار القيم للحالات الثلاثة في جدول كالآتي:

	الحالة (م)	الحالة (س)	الحالة (و)
مقياس دافيدسون	*مقياس استعادة الخبرة (13) بوجود 03 أعراض. *مقياس تجنب الخبرة (13) بوجود عرضين (02). *مقياس الاستثارة (14) بوجود 03 أعراض.	*مقياس استعادة الخبرة (20) بوجود 05 أعراض. *مقياس تجنب الخبرة (15) بوجود عرضين (02). *مقياس الاستثارة (14) بوجود 03 أعراض.	*مقياس استعادة الخبرة (13) بوجود 03 أعراض. *مقياس تجنب الخبرة (05) بعدم وجود أعرض. *مقياس الاستثارة (06) بعدم وجود أعراض.
	الدرجة الكلية: 40 /مرتفعة	**الدرجة الكلية: 49 /مرتفعة**	**الدرجة الكلية: 24 /منخفضة**

اختبار القيم	1-القيمة النظرية (55) 2-القيمة الدينية (45) 3-القيمة الاجتماعية (42) 4- القيمة السياسية (38) 5-القيمة الاقتصادية (32) 6- القيمة الجمالية (24)	1-القيمة الدينية (52) 2-القيمة الجمالية (44) 3-القيمة الاجتماعية (41) 4-القيمة السياسية (38) 5-القيمة الاقتصادية (35) 6-القيمة النظرية (30)	1-القيمة الاجتماعية (57) 2-القيمة النظرية (48) 3-القيمة الاقتصادية (44) 4-القيمة السياسية (39) 5-القيمة الدينية (32) 6-القيمة الجمالية (30)

استنادا إلى نتائج مقياس دافيدسون ومتوسط فرضي للدرجات تحدد بـ:(34)، يلاحظ أن الحالتين (م) و(س) لديهما درجة مرتفعة دالة على اضطراب الكرب ما بعد الصدمة، أما الحالة (و) فتحصلت على درجة منخفضة تفسر باستبعاد الاضطراب لديها.

4-1- ملخص الحالة الأولى (م):

(م) امرأة تبلغ من العمر 34 سنة اتسمت حياتها خلال العشرية السوداء بعدم الاستقرار والشعور بالخوف والتهديد المستمر من التعرض لاعتداء إرهابي، حيث كان والدها ضابطا مساعدا أولا (Adjudant) في الجيش الوطني وبالتالي كانت أسرة (م) تقطن بمجمع سكني مجاور لثكنة عسكرية لما يقارب 21 سنة. عايشت (م) عدة مواقف بمشاعر الرعب والحيرة والعجز أمام خطر الموت أكثر من مرة بسبب اعتداءات إرهابية مختلفة تعرضت لها مع ضحايا آخرين سواء في المدرسة أو في حافلة نقل عمومي أو في المجمع السكني، تذكر منها عملية هجوم إرهابي بتفجير قنبلة وسط سوق بضواحي الثكنة ليلة السابع والعشرين (27) من شهر رمضان بين سنتي 1997 و2000 (لا تتذكر السنة بالضبط)، إذ سمعت (م) رجلا مريب الهيئة والسلوك أرعبتها نظرته يكرر توقيت العاشرة والنصف ليلا (22:30 سا) فقررت إخبار والدها لكنها نسيت لإلتهائها باللعب خارجا. ولا زالت (م) تشعر بالذنب حاليا لاعتقادها بأن "نسيانها" التبليغ عن الإرهابي المشبوه منع إنقاذ الضحايا الذين قتلوا آنذاك. وتذكر أيضا مقتل خالها على أيدي إرهابيين قبل يومين فقط من عيد الأضحى، مما جعلها تعاني من الصدمة والألم النفسي والحزن لفقدان شخص عزيز تنسب إليه سمات البطولة والشجاعة وروح التحدي، طيبة القلب وحسن الخلق، السعي سعيه لإغاثة المظلوم ومساعدة المحتاج. كما أحزنها كثيرا مقتل جار لهم في انفجار قنبلة بعد سنة 2002 (لا تتمكن هنا أيضا من تحديد التاريخ بالضبط) كان بمثابة أب ثان ومرب حنون صارم لقنها قيم الاحترام

والتواضع ومراعاة مشاعر الآخرين. لم تحظ (م) بمسار دراسي مستقر بل أعادت الصف الدراسي الأساسي عقب مقتل خالها بسبب حالتها النفسية المتدهورة، وتغيبت لفترات متعددة خلال الطور الثانوي بسبب العلاج الذي استلزمه وضعها الصحي (تشوه خلقي في القلب). مع ذلك فإن (م) تحصلت على شهادة الليسانس واجتهدت في المجال المهني رغم شعورها بالظلم لما تتعرض له من تهميش وانتقاد سلبي مقابل مجهوداتها لتحقيق أهداف مهنية وعلمية تبدو لغيرها مستحيلة.

2-4- تحليل الحالة (م):

تعتبر (م) ضحية أولية كانت في الواجهة وعايشت بصورة مباشرة أكثر من حدث صدمي وباتت مشاعر الرعب والعجز مع الاستسلام لتصور الموت مألوفة لديها ومتكررة تزامنا مع كل موقف تهديد تواجهه، بالإضافة إلى الكوابيس والأرق أحيانا واضطراب بعض الوظائف المعرفية كالانتباه والذاكرة والتفكير الرياضي، ويمكن تفسير هذه الأعراض بأنها استجابات تالية للصدمة لدى الطفل و/أو المراهق حيث لم تتجاوز (م) آنذاك سن العاشرة. وقد تصنف كضحية ثانوية أيضا نظرا لمعاناتها النفسية من فقدان خالها ثم جارها (بديلي الأب) بعد اغتيالهما من طرف إرهابيين؛ حيث أضيفت مشاعر الحزن والغضب إلى سابقتها وأصبحت (م) أكثر هشاشة وأقل قدرة على تحمل الضغوط ولا حتى الدراسية منها، وهذا ما يفسر رسوبها وإعادتها للصف المتوسط كما ظهرت مضاعفات حالتها النفسية المتدهورة على صحتها العضوية حينها.

لا تبدو أعراض الصدمة النفسية والاستجابات التالية للصدمة مسيطرة على (م) حاليا، وقد يرجع الأمر إلى المجال الزمني (18 سنة) وعدم معايشتها لمواقف عنف وتهديد أخرى طيلة هذه المدة، لكن يبقى الألم النفسي ينتابها نتيجة للشعور بالذنب فيما يتعلق بحدث تفجير قنبلة قتلت أطفالا وأشخاصا كان من الممكن إنقاذهم إذا تشجعت (م) وبلغت عن الإرهابي المشبوه بدلا من الاستسلام لخوفها منه، كل هذا التصور ناتج عن اعتقاد راسخ لديها من جهة، والشعور بالأسى والظلم فيما يتعلق بمقتل خالها الذي كان مصدر حنان وحماية لها من جهة أخرى.

اكتسبت (م) أسسا أخلاقية من النسق الأسري أولا ثم نسق الجيرة تمثلت في قيم الصدق، الوفاء، التسامح، الدفاع عن المظلوم وأولوية المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية؛ فنجد أن تفضيلها لهذه القيم تحديدا وحرصها على إتباعها في مجالات حياتها اليومية مرتبط بالقيمة العاطفية التي تولها (م) للأشخاص مصادر تلك القيم (الخال والجار). لكن يشير تأكيدها على استحالة التسامح تجاه الإرهابيين المتورطين في اغتيال خالها إلى محدودية التفضيل النظري لقيم دينية مثلى أمام واقعية الفقدان وما يخلفه من آلام وجدانية عميقة يصعب شفاؤها ويستحيل نسيانها، وبقدر ما تسعى لتوجيه حياتها نحو المسار القيمي الذي يدفعها إلى تقبل الآخر بخصائصه الإيجابية والسلبية وحتى "جرائمه" فإنها تلقى صعوبة ومعضلة في تعميم قيمة التسامح بشكل

خاص أو ما تسميه أيضا "العفو" الذي يستلزم النسيان وإلغاء السوابق السلبية نهائيا للشخص المذنب.

3-4- ملخص الحالة الثانية (س):

(س) يبلغ من العمر 34 سنة نشأ في أسرة جزائرية بسيطة تكونت من والديه وإخوته الستة الذين يتوسطهم عمرا ومرتبة، كان والده ضابطا في الجيش الشعبي الوطني مسؤولا عن المتفجرات ملما وخبيرا في الميدان. اضطر (س) لمواجهة موقف صدمي غير مسبوق في المنطقة وهو في العاشرة من عمره عند عودته من المدرسة يوم 14 من شهر رمضان سنة 1995؛ إذ صعق بمنظر "رأس أبيه" معلقا على لافتة عريضة وسط الشارع دون باقي جسده، وأول استجابة له بعد تمكنه من الحركة كانت الصعود على عمود اللافتة لانتزاع رأس والده ثم حمله بين يديه الصغيرتين لما تبقى من الطريق وصولا إلى البيت. وخلال مرحلة المراهقة أصبح (س) أكثر وعيا وإدراكا لأحداث العنف الإرهابي التي تكررت في المنطقة وتمكن من معرفة أن المسؤولين عن اغتيال والده هم مواطنون من القرية ذاتها تواطؤوا مع الجماعات الإرهابية في جرائمهم اللاإنسانية.

لقد واجهت أسرة (س) صعوبات وظروفا معيشية قاسية أجبرت والدته رغم إصابتها بداء السكري وأخاه الأكبر على إجهاد نفسيهما لتوفير ضروريات العيش ومحاولة تعويض غياب الوالد، أما (س) فقد أصبح لامباليا ومتهورا في سلوكياته أحيانا أو منطويا وبليدا أحيانا أخرى، مما ساهم في تدني تحصيله الدراسي وإعادته للصف السادس ابتدائي، إلا أنه واصل الدراسة حسب ما توفر لديه من قدرات معرفية ورصيد أكاديمي سابق حتى تحصل على شهادة التعليم الأساسي. توجه بعدها إلى مجال العمل وتم توظيفه ضمن السلك شبه العسكري كمكلف بالاتصالات وعمره لم يتجاوز 23 سنة، إذ أصبح شابا مستقلا له مهنة محترمة مثل والده المرحوم قبله يستطيع دعم والدته وإخوته كما يمكنه السعي للزواج دون الاكتراث بما قد يتلقاه من رفض.

لجأ (س) للاستشارة الطبية المتخصصة عدة مرات سواء في المجال العضوي أو النفسي من أجل علاج بعض الأعراض الفيزيولوجية والمعرفية التي اشتكى منها منذ سن المراهقة أبرزها: ارتعاشات شبه دائمة على مستوى اليدين، ضيق التنفس خلال نوبات هلع، صداع حاد لا يزول إلا بالأدوية، اضطرابات في النوم إما أرقا أو نوما متقطعا اشتدت منذ 5 سنوات، صعوبة في التركيز والاسترجاع أساسا، عدم تحمل الأماكن العمومية كالمقاهي والملاعب والأسواق.

4-4- تحليل الحالة (س):

(س) ضحية أولية رغم أنه لم يواجه خطرا فعليا على حياته إلا أن التهديد الذي اجتاحه تجاه سلامته النفسية (العقلية خاصة) إضافة إلى صورة الموت في أبشع تمثلاتها الدامية كانت كافية لجعل الموقف المعاش صدميا ومثيرا لمشاعر الرعب والدهشة لدرجة الجمود الانفعالي؛ إذ لم يتمكن (س) من استيعاب الواقع اللامتوقع معنويا وبالتالي فهو لم يستطع الاستجابة انفعاليا.

وقد اتخذ (س) آليات نفسية سلبية (Passives) كاستجابات دفاعية ما بعد الفورية (Post-Immédiates) أمام ذلك الحدث الصدمي المروع دامت طيلة مرحلة المراهقة واشتملت على سلوكيات التهور والاندفاعية مقابل اللامبالاة والشرود الذهني أحيانا. وبما أنه تعرض للموقف الصدمي وهو لا زال ينمو في مرحلة الطفولة المتأخرة ظهرت لديه أعراض تندرج ضمن الاضطرابات النفسية التالية للصدمة لدى الطفل و/أو المراهق مثل: اضطراب وتيرة النوم بين أرق ونوم متقطع وفزع ليلي، اضطرابات معرفية على مستوى الانتباه والقدرة على الاستيعاب وصعوبات مدرسية انعكست على تحصيله الدراسي لكن معظم هذه الأعراض لا تزال تلازم (س) اليوم خاصة منها اضطراب النوم والكوابيس كمؤشرات عن "إعادة معايشة" الحدث الصدمي، إضافة إلى ارتعاش اليدين شبه الدائم والصداع كمؤشرات عن فرط الاستثارة الفيزيولوجية، ويمكن اعتبار الارتعاش بمثابة استجابة نفسية عصبية لصدمة حمل (س) رأس أبيه داميا.

يعتمد (س) في مواجهة المواقف الضاغطة على قيم كالسيطرة الذاتية، التحدي، المبادرة، الصراحة والمرونة حسب ما تقتضيه الظروف الراهنة اكتسبها من مصادر مختلفة أولها والدته باهتمامها المفرط ومحبتها اللامشروطة التي لا زالت تحتضن (س) وهو راشد بالغ، ثم تأتي الخبرات والتفاعلات الاجتماعية بما أسفرت عنه من إحباطات لعدم تحقيق كل متطلبات الحياة لنفسه وأسرته خاصة منها المادية، وكذا الفجوة بين تصوراته وطموحاته مع الواقع المحسوس المعاش. وقد شمل رصيده الأخلاقي مجموعة من القيم الاقتصادية كالإنتاجية والنفعية والاستقلالية المالية إلى جانب قيم اجتماعية كالعمل النزيه والوفاء للأسرة، ولم يستثن قيما جمالية يراها ضرورية لتوافقه الشخصي ثم الاجتماعي كتقدير الأناقة واللباقة. إن (س) لا يعارض القيم الايجابية المرتبطة بسلوكيات بناءة تساعد على التكيف ضمن نسقه الاجتماعي، إلا أنه لا يرفض القيم المحفزة لسلوكيات تدميرية لما تنطوي عليه من عدوانية سلبية. وقد تفسر ازدواجية التوجه لديه تبعا للصراع الذي يعيشه بين امتثال للأخلاقيات الدينية والاجتماعية أمام حاجته إلى تفجير الطاقة الانفعالية السلبية التي يحاول قمعها.

يوافق (س) على اعتبار نفسه ضحية أولية للعنف الإرهابي استنادا إلى معاناته المباشرة من الضرر الجسدي والنفسي والدراسي والعلائقي الناتج عن اغتيال والده، لكنه لا يوافق على سمات السلبية والتبعية الاجتماعية المرتبطة بوضعية "الضحية" من منظور النسق المحلي الذي يعيش فيه، ويخضع (س) اليوم لأسس أخلاقية محددة لا يختلف تجسيدها حسب المواقف وإنما الأفراد الموجهة إليهم؛ حيث لا يمكن إتباع قيمة "التسامح" مثلا حين يتعلق الأمر بالمذنبين في الجرائم الإرهابية.

4-5- ملخص الحالة الثالثة (و):

(و) ربة بيت جزائرية بسيطة في الرابع والخمسين من عمرها (54) تزوجت في سن الواحد والعشرين (21) من ابن عمها الذي كان ضابطا في الجيش الشعبي الوطني متخصصا في المتفجرات، وأنجبت ثلاث أطفال (03) عاشت معهم أجواء الخوف المتواصل من تهديد الاعتداءات الإرهابية التي كانت وشيكة دائما نظرا لتواجدهم في مجمع سكني عسكري. وسرعان ما صدمها واقع الفقدان يوم وفاة زوجها بتاريخ 02 سبتمبر 1995 إثر انفجار قنبلة في عملية إرهابية دامية، لكنها تمكنت (و) من تجاوز مشاعر العجز والحيرة والكآبة بدعم مكثف من طرف إخوتها. بعد سنتين توفيت والدتها إثر أزمة قلبية (1997)، مما أضعف مقاومتها لمدة وزاد على عاتقها مسؤولية إخوتها الأصغر منها. ولم تلبث طويلا حتى تعرضت لصدمة ثالثة حين أصيب ابنها الأوسط بسرطان الدم (Leucémie) وتوفي بعد معاناة دامت لسنوات. ونظرا لضرورة مرافقة (و) لابنها خلال تلقيه العلاج توجب عليها ترك ابنها الأكبر وابنتها في رعاية إخوتها الذين اجتهدوا في الاعتناء بهما لدرجة توطيد الرابط العلائقي بينهم إلى استثمار عاطفي والدي وهذا ما جعل الأم تتخبط في صراع بين الاهتمام بالابن المريض والشعور بالذنب لإهمال باقي أطفالها.

قررت (و) عقب الصدمات المتتالية التي عاشتها استكمال مسارها الدراسي، فتحصلت على شهادة الليسانس في علم النفس لاهتمامها الشخصي وحاجتها إلى إيجاد إجابات عن تساؤلاتها الحياتية ورغبتها في تقديم الرعاية النفسية المناسبة لأبنائها.

4-6- تحليل الحالة (و):

تعرضت (و) للعنف الإرهابي بصورة غير مباشرة تمثلت في مقتل زوجها مما جعلها أرملة في سن مبكرة (30 سنة) واضطرها للتملص بصعوبة من مخاطر اجتماعية كالإغراءات والمساومات اللاأخلاقية، إضافة إلى تحديات التنشئة الاجتماعية في التنسيق بين دور الأم تارة ودور الأب تارة أخرى لكنها استمدت الدعم العاطفي كطاقة متجددة من أطفالها ووالديها وإخوتها حفزتها لتجاوز المواقف الضاغطة المتسلسلة بمثابرة وروح التضحية. وتظل (و) شخصا عقلانيا تتسم بالرصانة والحذر في أغلب سلوكياتها؛ إذ لا تسمح لنفسها بالتفريغ الانفعالي ولا إبداء الضعف والإحباط أو حتى التعب أمام أبنائها من أجل الحفاظ على النموذج الأمومي الصامد والمتين وحمايتهم من الانهيار النفسي (حسب تصورها). إن وفاة ابنها الأوسط جعل (و) تشعر بفراغ وحرمان عاطفي لم تستطع تعويضه، ولعل خروجها للدراسة منحها موضوعا بديلا توجه نحوه اهتمامها ونشاطها الجسدي والعقلي والانفعالي.

تعتمد (و) في تفاعلاتها الاجتماعية وسلوكاتها المختلفة على مجموعة من القيم لا تتنازل عنها مثل: التوكل على الله عزوجل، الصبر، التفاؤل والتصورات الايجابية، مجابهة الظلم والتصدي لنزعة الانتقام اكتسبتها من والديها بالدرجة الأولى ثم الخبرات الحياتية التي تعلمت من خلالها

توظيف قدراتها المعرفية التحليلية والاستنتاجية لاتخاذ قرارات عقلانية وواقعية. كما زودتها عاطفة الأمومة المفعمة بالحب اللامشروط والخوف على أبناءها من الانحراف برفض كل قيمة ترتبط بسلوك مدمر للذات أو الآخر، ويضاف إلى نسق القيم لدى (و) السعي نحو العلم والمعرفة تعزيزا لدوافعها وتجسيدا لوصية ابنها المتوفى حول ضرورة التفوق الدراسي.

لا تزال (و) تلتزم بالقيم الدينية والإنسانية السامية والمستوحاة من والديها، لكنها تتريث عندما يتعلق الموضوع بقيم محددة كالتسامح فهي مؤيدة لهذه القيمة شرط استثناء المذنبين في الاعتداء الإرهابي الذي أفقدها زوجها، حتى أنها تشعر اليوم بالنفور وتتعامل بتجاهل مع كل شخص يرمز للتطرف الديني الذي اقترن بالجماعات الإرهابية في الجزائر أثناء العشرية السوداء.

5- مناقشة نتائج الدراسة:

* استنادا إلى تحليل الحالات الثلاثة يمكن الموافقة على وجود أعراض الضغوط التالية للصدمة حاليا رغم اختلاف بعض المؤشرات وخصوصية المعاناة النفسية الصدمية بين حالات الدراسة، وتتمثل أبرز هذه المؤشرات في تصنيف الحالات إلى ضحايا أولية و/أو ثانوية للاعتداءات الإرهابية باعتبارها تعرضت لمواقف عنف إرهابي متعددة تراوحت بين مواجهات مباشرة لخطر الموت الفعلي (كما حدث مع الحالة (م)) وأخرى غير مباشرة عانت خلالها الحالات من وقع الفقدان المعنوي وهشاشة الوحدة النفسية وزعزعة الاستقرار العاطفي.

من جهة ثانية لابد من عدم إهمال مؤشري السن ومستوى النضج الذي كانت عليه الحالات قبل 15 سنة وأثر على قدراتهم الدفاعية والتكيفية المستثمرة من أجل المعالجة متعددة الأبعاد لصدمات العنف الإرهابي التي عايشوها؛ فلم تتجاوز (م) 10 سنوات حين تم إنقاذها من أول محاولة هجوم بقنبلة وسط المدرسة، ولم يتجاوز (س) 8 سنوات عندما اضطر إلى حمل رأس أبيه بين يديه داميا لمسافة بدت غير منتهية. يمكن اعتبار مرحلة الطفولة هنا عامل هشاشة طبيعي لما تحمله من متطلبات واحتياجات نوعية يلعب توفرها من عدمه دورا أوليا في النمو السليم للفرد الراشد مستقبلا؛ ومن بين هذه المتطلبات يندرج الشعور بالأمن والحماية من التهديدات والمخاطر إضافة إلى الشعور بالاحتواء من طرف الوالدين والاعتماد عليهما بعفوية واطمئنان دون هواجس أو مخاوف.

أما الحالة (و) فقد كانت شابة متزوجة وأما مكتملة النضج في سن الثلاثين حين صدمت بمقتل زوجها، ولعل مؤهلاتها العقلية والعاطفية وتصوراتها الاجتماعية عن مسؤولياتها وواجباتها تجاه أطفالها حينها زودتها بالطاقة النفسية وروح المثابرة والصلابة التي مكنتها من إدارة الصدمة والسعي إلى التكيف مع مخلفاتها.

من جهة أخرى، تشترك الحالات الثلاثة في مؤشر لا يقل أهمية عن المؤشرات السابقة ألا وهو معايشة أحداث صدمية إضافية بعد التعرض للاعتداءات الإرهابية؛ فالحالة (س) عانى من

تراجع مستوى تحصيله الدراسي وتدهور الأوضاع المعيشية لأسرته في ظل فقدان الوالد المعيل، والحالة (م) تخبطت بين المستشفيات لعلاج وضعها الصحي الحرج (تشوه خلقي في القلب) وبالتالي لم تحظ بمسار دراسي يسير بل أعادت الصف أكثر من مرة. كما اضطرت الحالة (و) إلى استثمار ما أوتيت به من موارد جسدية ونفسية ومادية أساسا في توفير العلاجات الطبية المتخصصة لابنها الذي أصيب بسرطان الدم وتوفي على إثره. كل هذه المواقف الضاغطة التي تتالت ضمن الرصيد الخبراتي المؤلم لحالات الدراسة ساهمت في تعزيز المعاناة بطريقة أو بأخرى رغم اختلاف السياق الذي حدثت في إطاره.

* وفق ما تم التوصل إليه بعد تطبيق اختبار القيم وتحليل ما ورد في المقابلات من معطيات ترتبط بنسق القيم السائد اليوم لدى كل حالة، تعتبر القيمة بمثابة البوصلة التي يتوجه بها سلوك الفرد حسب ما يعتقده صائبا وأخلاقيا ومنسجما مع مكتسباته وخبراته الشخصية، وهي نتاج لآلية معقدة متداخلة العوامل منذ بداية المراحل العمرية المبكرة. (شينار، 2017، صفحة 133)

من هذا المنطلق يتجلى الدور الأساسي للخبرات الصدمية كالعنف الإرهابي الذي كانت حالات الدراسة ضحية له في تكوين منظومة قيمهم الخاصة أو تعديلها حسب دلالات نفسية نوعية، دون إلغاء المصادر الأخرى التي لا يستهان بأهميتها في تنظيم سلم القيم للفرد مثل النسق الأسري والمدرسي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تزوده بأطر مرجعية ومقومات فعالة تمكنه من تجسيد مكتسباته في ممارسات اجتماعية.

بالرغم من التباين الذي تم تسجيله في تنظيم كل واحدة من حالات الدراسة لنسق القيم إلا أن "القيمة الاجتماعية" تمثل محطة مشتركة ضمن القيم الأولوية بما تشتمل عليه من اهتمام بالآخر والسعي إلى توفير الدعم بشتى أشكاله، إضافة إلى تعزيز المودة والإيثار والاحتواء الإنساني تجاه كل شخص يحتاج إلى ذلك. كما تشترك حالات الدراسة في مصدر اكتساب هذه القيمة الاجتماعية الذي يجعلها راسخة ومركزية قد تتصدى للقيمة السياسية والاقتصادية، لما يتسم به هذا المصدر من دلالات وجدانية عميقة لم تتلاش إلى اليوم بل تخفف عنهم حتى شيئا من المعاناة النفسية التي تنجر سواء عن إعادة معايشة الأحداث الصدمية الإرهابية الماضية أو عن معايشة مواقف ضاغطة حديثة شبيهة في بعض أبعادها للرصيد الخبراتي العنيف لدى الحالات.

وقد تمثل أحد مصادر تبني الحالة (م) للقيمة الاجتماعية في نموذجي "الخال" و"الجار" ضحيتي اغتيال إرهابي مروع أجبرها على الإدراك المبكر لمدى حاجتها إلى التفاعلات المستمرة مع ما يمثلهما من تصورات اجتماعية ومبادئ أخلاقية سامية وقواعد سلوكية إيجابية لم تلمسها منذ فقدانهما في أشخاص آخرين ولازالت متمسكة بتلك القيم التي تعتبرها جوهرية في سعيها لترسيخ نموذج المقاومة والتمرد ضد كل ما كان المعتدي الإرهابي يتبناه من قيم معادية للإنسانية.

استنتاج عام:

انطلقت الدراسة الحالية من تصورات نفسية مثيرة للاهتمام حول معاناة ضحايا العنف الإرهابي الذي دام لعشرية كاملة في مجتمع جزائري لم يكن قد تعافى بعد من انعكاسات الاستعمار الفرنسي كعنف تجاوز في حدوده الزمنية وجرائمه اللاأخلاقية جميع المعايير والممنوعات، كما استوحت الدراسة من القراءات العلمية التاريخية والاجتماعية التي تناولت متغيرات أساسية تمثلت في "الإرهاب"، "الضحية"، "آليات إعادة البناء النفسي والمجتمعي"... وأخرى. ولم تستثن المعطيات الواقعية في بلورة الإطار الجوهري للدراسة الحالية من حيث الآليات السلوكية والمظاهر التعبيرية سواء التصريحية أو الضمنية التي تمت ملاحظتها مرارا وتكرارا، كاستجابات صادرة عن أفراد يعتبرون أنفسهم ضحايا تعرضوا لاعتداءات إرهابية متعددة الأنماط وممتدة التبعات السلبية حتى وإن عارضهم معيار السنوات الطويلة التي مضت إلى جانب التغيرات النسقية التي توالت وتعاقبت بوتيرة أسرع من قدراتهم ومدى قابليتهم لتجاوز وتقبل المعاش الصدمي كضحية.

إن مفهوم "**الضحية**" لا يقتصر فقط على درجة التهديد والعجز الذي واجهه الفرد في موقف صدمي كالاعتداء الإرهابي ولا يبسط في تقدير الضرر والفقدان سواء كان فيزيولوجيا أو نفسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، كما لا تتحدد مدى صلاحية مقام الضحية ولا احتياجاتها اللازمنية من ناحية الاعتراف بمعاناتها وتعويضها معنويا وأخلاقيا عن المعاناة متعددة الأشكال والمستويات التي قد لا ينتبه إليها الآخر أو لا يتصورها. ويعتبر تمسك ضحايا العنف الإرهابي في الجزائر خلال العشرية الدموية السوداء بأهمية المرجعية القيمية وتعزيزها في ممارسات حياتية متداولة، امتدادا للنسق القيمي السائد عند كل ضحية والذي تم بناؤه تدريجيا منذ سنوات الطفولة في آلية اكتساب شخصي يستلزم تفاعلات اجتماعية يوفرها النسق الذي ينشأ الفرد بين حدوده وضمن قواعده التواصلية.

إذا كان مقبولا أن نرجح وجود انعكاس بين الألم الصدمي وتنظيم نسق القيم لدى الضحية اليوم من جهة والسلوكات العنيفة الصادرة من الإرهابي والتي انجر عنها الفقدان وهشاشة بعض المكتسبات الأخلاقية من جهة أخرى، فإن سؤالا ختاميا يتبادر إلى الذهن وقد يفتح سبيلا لدراسة مكملة: "إلى أي مدى يمكن التسامح مع الآخر المعتدي إذا كان وجوده حتمية داخل النسق المجتمعي للضحية؟"

قائمة المراجع:

أولا- المراجع باللغة العربية:

01- رضوان شفيق (1996): *"علم النفس الاجتماعي"*، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

02- محي الدين، محمد (1998):*"تعريف الإرهاب"* ، أبحاث الندوة العلمية حول تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الفترة من 07-1998/12/09

03- بن عروس، زهرة وآخرون (2002): *"الإسلامية السياسية، المأساة الجزائرية"* ، ترجمة: غازي البيطار، بيروت: جار الفرابي.

04- خوالدة، محمود عبد الله محمد (2005): *"علم نفس الإرهاب"* ، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

05- الشيباني، رضوان (2005): *"الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي"* ، القاهرة: مكتبة مدبولي.

06- معمرية، بشير (2007): *"بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس"* ، الجزء 4، الجزائر: منشورات الحبر.

07- لخذاري، عبد المجيد (2008-2009): *"الجرائم الإرهابية وآليات مكافحتها في التشريع الجنائي الجزائري"* ، مذكرة ماجستير في القانون الدولي، المركز الجامعي خنشلة: الجزائر.

08- سعدوني غديري، مسعودة (2011): *"مصير الأطفال المصدومين من جراء العنف؛ ماذا بعد التكفل النفسي؟"* ، الجزائر.

09- عشوي، مصطفى وخياطي، مصطفى(2012): *"الصدمات النفسية في الجزائر"* ، الجزائر: دار الأمة.

10- صالح، حسين .ع. (2014): *"العنف الاجتماعي والسياسي والإعلامي من منظور علم النفس الاجتماعي"* ، القاهرة: دار الكتاب الحديث.

11- الحيدري، إبراهيم (2015): *"سوسيولوجيا العنف والإرهاب"* ، بيروت: دار الساقي.

12- شينار، سامية (2016-2017): *"النسق القيمي وعلاقته بالعمليات المعرفية- دراسة مقارنة بين الأحداث الجانحين والأحداث غير الجانحين"* ، أطروحة دكتوراه علوم في علم النفس، جامعة باتنة 01: الجزائر.

13- مركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب (2016): تقرير مؤتمر الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان لضحايا الإرهاب، نيويورك. تاريخ الاطلاع 2019/04/23. من:
http://www.un.org/victimofterrorism

14- معيرش، موسى (2016): *"فلسفة القيم؛ ماهيتها طبيعتها"* ، الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

ثانيا- المراجع باللغة الأجنبية:

15- BORMANS Christophe, MASSAT Guy et al. (2005): «*Psychologie de la violence*», France: Studyrama.

16- LEBIGOT François (2006): *«Traiter les traumatismes psychiques; clinique et prise en charge»*, Paris: Dunod.
17- CROCQ Louis et al. (2007): *«Traumatismes Psychiques; Prise en charge psychologique des victimes»*, Paris: Elsevier-Masson.
18- SASSOLI Marco (2007): *«La définition du terrorisme et le droit international humanitaire»*, Québec: Revue Québécoise du droit international.
19- BEAUGE Florence (2008): *«L'Algérie des années 2000; vie politique, vie sociale et droits de l'homme»*, Paris: Editions du Cygne.
20- FLÛKIGER Jean-Marc (2008): *«Définir les victimes du terrorisme; Entre innocents, civils et non-combattants»*, Thèse de doctorat, Université de Fribourg: Suisse.
21- KEDIA Marianne, SABOURAUD-SEGUIN Aurore et al. (2008): *«Psycho-traumatologie»*, Paris: Dunod.
22- MEDHAR Slimane (2009): *«La violence sociale en Algérie»*, 2ème édition, Alger: Thala Editions.
23- ROUAG DGENIDI Abla et al. (2011): *«Les effets de la violence : du stress au trauma»*, Constantine: Editions Média Plus.
24- ADDI Lahouari et al. (2014): *«L'Algérie d'hier à aujourd'hui: Quel bilan ?»*, Paris: Editions Bouchène.